المسار النقدي لابن رشيق القيرواني في ضوء الحركة النقدية البيانية

"رصد معرفي للمدونة النقدية العربية بين تغييب الذات والحضور الأرسطي المنهج"

الدكتور: خروبي بلقاسم

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

إنّه ومن المتّفق عليه بالضرورة بين غالبية نقاد العرب ومؤرخي الأدب ومتتبّعي مسار الحركة النقدية العربية القديمة قديمِهم وحديثِهم، أنّ حُضورَ "أرسطو" والفِكرِ اليوناني عمومًا كان أَكثرَ جلاءً في آراءِ "قدامه ابنِ جعفر"؛ الذي فَحصَ تُراثَ اليونانِ ونَهلَ الكَثيرَ مِن مَعينِه، فكان فِكرًا مَرجَعِيًا يَستَنِدُ عليه "قدامه" في تَبريرِ أَحكامِه النَّقديَةِ التي كان يَتفَرَّدُ بها. ولَعلَّ ما يُثبِتُ هذه الاتّباعيةَ مِن جِهَةِ "ابنِ رشيق" لهذا الفِكر، آراءٌ ومواقفٌ ومَقولاتٌ مَبثوثَةٌ في "العمدة" هنا وهناك، توحي هي الأخرى إيحاءً إلى حَدِّ الإنباءِ الصَّريحِ، بِنَهلِ هذا الأَخيرِ أيضا مِن هذا التُّراثِ الفَلسَفي وتَبَنّيه بعضًا مِن مَقولاتِه. فكيف استطاع ابن رشيق في كتابه العمدة، وفق هذا المنظور، وفي باب علم البيان أن يزاوج بين القاعدة الأرسطية والأثر الشعري العربي ذي النزعة الوجدانية؟؟

الكلمات المفتاحية: ابن رشيق؛ أرسطو؛ القديم؛ الحديث؛ النقد؛ الفكر؛ التراث الفلسفي؛ البيان.

Ibn Rashiq al-Qayrawani Critical Path in the Light of the Figure of Speech Critical Movement: A cognitive Observation of the Arab Criticism Corpus between the Self-absence and the Systematic Aristotelian Presence.

Abstract: It is necessarily agreed upon among the majority of Arab critics, literature historians, and those who follow the course of the ancient Arab criticism movement, both in old and in their modernity, that the presence of "Aristotle" and Greek thought in general was more evident in Ibn Jaafar's opinions of "before him, " who examined the Greek's heritage and gained a lot of from its meanings. So, it was a reference thought on which he relied "before him" on in justifying his critical provisions for which he was unique. Perhaps what proves this dependency on Ibn Rashiq's side of this thought, opinions, attitudes and anecdotal citations aired here and there in "Al-Umda". The latter reveals the extent of an explicit prophecy, which he also drew from his philosophical heritage and adopted some of his sayings. How did Ibn Rashiq manage in his book Al-Umda, according to this perspective, and in the chapter on the science of the statement, to marry between the Aristotelian rule and the affectionate-tendency Arab poetic heritage?

تاريخ تسليم البحث: 14 سبتمبر 2016.

تاريخ قبول البحث: 19 مارس 2017.

Keywords: Ibn Rashiq, Aristotle, the old, speech, criticism, thought; philosophical heritage; figure of speech.

البذور الأرسطية: إنّه ومن المتّفق عليه بالضرورة بين غالبية نقاد العرب ومؤرخي الأدب ومتتبّعي مسار الحركة النقدية العربية القديمة قديمِهم وحديثِهم، أنّ حُضورَ "أرسطو" والفِكرِ اليوناني عمومًا كان أكثرَ جلاءً في آراءِ "قدامه ابنِ جعفر"؛ الذي فَحصَ تُراثَ اليونانِ ونَهلَ الكَثيرَ مِن مَعينِه، فكان فِكرًا مَرجَعِيًا يَستَنِدُ عليه "قدامه" في تَبريرِ أحكامِه النَّقديَةِ التي كان يَتفَرَّدُ بها، من ذلك قولُه: "أَحسَنُ الشِّعرِ أَكذَبُه، وكذلِكَ يَرى فلاسِفَةُ اليُونانِ في الشِّعرِ على مَذهَبِ لُغَتِهم" (1) لَيسَ المُهِمُّ في ذلك ما قَرَّرَه "قُدامه" في شَأنِ الكَذِبِ أو الخُروجِ عن الواقعِ وتَحريفِ مَقولَةِ "المحاكاة"، فَلَعلَّ هذا يكونُ مِن بَيِنِ ما تَفرَّدَ به. ولَكنَّ الأَهَمَّ يَندَرِجُ ضِمنَ مَزِيَّتَينِ، فقد أصَّلَ الرَّأيَ المُتَفَرِّدَ مِن خِلالِ مَرجَعيَةٍ يَونَانِيَةٍ ولَيست عَربِيَةً إسلامِيَةً هذا مِن جِهَةٍ، ومِن جِهَةٍ أخرى أن الأَهَميَةَ تَكمُنُ في أن "قُدامه" كان أحَدَ أَبرَزِ مَن تَأثر بِهم "ابنُ رشيق" (2) في مَسيرَتِه النقديَةِ ذاتِ النُّزوعِ الاتباعي.

ولَعلَّ ما يُثبِتُ هذه الاتّباعيةَ مِن جِهَةِ "ابنِ رشيق" لهذا الفِكر، آراءٌ ومواقفٌ ومَقولاتٌ مَبثوثَةٌ في "العمدة" هنا وهناك، توحي إيحاءً إلى حَدِّ الإنباءِ الصَّريحِ . بِنَهلِ هذا الأَخيرِ مِن هذا التُّراثِ الفَلسَفي وتَبَنِّيه بعضًا مِن مَقولاتِه، من ذلك مثلاً قولُه في "بابِ البلاغة": "وقال أصحابُ المَنطقِ: حدُّ الإنسانِ الحيُّ الناطقُ، فَمن كان في المَنطقِ أعلى رُتبةً كان بِالإنسانيَةِ أَولى. وقالوا: الرُّوحُ عِمادُ الجِسمِ، والعِلمُ عِمادُ الرُّوحِ، والبَيانُ عِمادُ العِلمِ" (3) إنَّه مِن خِلالِ هَذه الكُلِّياتِ المَنطِقيَةِ، تَتَشَكَّلُ نَزعَةٌ فَلسفيَةٌ تَنِمُّ عَن بَعضِ مَرجَعيَاتِ الرَّجُلِ الفَلسَفيَةِ. فَقدِ استَثمرَ في اقتِباسِه قاموساً فَلسَفياً مثلَ المنطقِ والعِلمِ والرُّوحِ والجسمِ، ناهيكَ عنِ القِياسِ البُرهاني الذي وظَّفَهُ. فَلو قُمنَا بِعَمَلِيَةٍ إحصائيَةٍ لهذه المصطلحات، لَوجدناها تُمَثِّلُ أساسَ الفِكْرِ الفَلسَفِي وإِشكالِيَةَ الوجودِ الإنساني عَبْرَ مَسارِه التَّفكيري وبَحثِه عَن الحَقيقَةِ الأَنطولوجِيَةِ لِذاتِه؛ كَعالَمٍ أو كَيانٍ مُنفَرِدٍ ضِمنَ هذا الكلِّ المُتَّصِل.

وتَتَجسَّدُ بُذورُ الفَلسفَةِ الأَرِسطِيَةِ أَكثَرَ عِندَ "ابنِ رَشيق"، حِينَ يَعرِضُ لأَصنافِ العِلمِ على وِفقِ ما قَرَّرَهُ الفلاسِفَةُ دونَ أن يُبدِيَ رَأيًا في ذلك، وكأَنَّ الرَّجُلَ مُتَبَنٍّ لِلفكرَةِ في صَمتٍ خَفِيٍّ. يَقولُ في "بابِ فَضلِ الشِّعر": » وقال بَعضُهم . وأَظنُّه أبَا العبَّاسِ النَّاشئ (4) . العِلمُ عِند الفَلاسفَةِ ثَلاثُ طَبقاتٍ: أَعلى وهو عِلمُ ما غابَ عَن الحَواسِ فَأُدرِكَ بالعَقلِ والقِياسِ؛ وهو عِلمُ الآدابِ النَّفيسَةِ التي أَظهرَها العَقلُ مِن الأَشيَاءِ الطَّبيعِيَةِ كالأَعدادِ والمساحاتِ وصِناعَةِ التَّنجيمِ وصِناعَةِ اللُّحونِ. وأَسفَل وهو العِلمُ بِالأَشياءِ الجُزئيَةِ والأَشخاصِ الجَسيمَةِ. » (5) والشِّعرُ طبعا يَندرجُ ضِمنَ الصِّنفِ الأَوَّلِ الذي يَغِيبُ عَن الحَواسِ فَيُدرَكَ بِالعَقلِ والقِياسِ؛ أي بالقاعدةِ ومُسَلَّماتِها العِلميَةِ المُسبَقَةِ، لِيَصيرَ الشِّعرُ مِن قَبيلِ الأَعدادِ والمِساحاتِ ذاتِ البُعدِ التَّجريدي

والإدراكِ الحسّي، فلا يُدرَكُ إلا بالدليلِ والمُراهَنَاتِ العقليَةِ. وكأنَّ المحاكاةَ تَتَسرَّبُ إلى "ابنِ رشيق" في صَمتٍ خَفِيٍّ أيضًا!

غيرَ أنّ "ابنَ رشيق" لا يَفتَأُ صَامِتًا حتّى يَخرُجَ عَن صَمتِه ويَنسِبَ بعضَ مَرجعيَتِه البيانيةِ مباشرةً إلى "أرسطو" ـ شأنُه في ذلك شأنُ "قُدامه" ـ ويُعلِنُ ـ بِصَراحةِ الناقدِ المَوسُوعي ـ في "باب البلاغة" بِأنّه قد: "قيل لـ"أرسطو طاليس" [6]: ما البلاغة؟ قال: حُسنُ الاِستعارَةِ. » [7] كَما يقولُ في "بابِ فَضلِ الشّعر": » ومِن فَضائلِه أن اليونانيينَ إنما كانت أَشعارُهم تَقيّيدَ العلومِ والأشياءِ النَّفيسةِ والطبيعيةِ التي يُخشَى ذهابُها، فكيفَ ظنُّك بِالعربِ الذي هو فَخرُها العَظيمُ وقِسطاسُها المستقيم. » [8] فَفِي الاقتِباسِ الأَوَّلِ نجِدُ "ابنَ رشيق" يُؤصِّل لعِلمِ البَيانِ ويَمُدُّ جذورَه الأُولى ومَرجعيته الأصليةَ إلى "أرسطو"، وفي القِسْمِ الثَّاني نَراهُ يُشَرِّعُ للقياسِ والقاعدةِ وهو يَضعُ الشّعرَ في مُقابلِ الطَّبيعياتِ والأشياءِ والعلومِ، لِيظهَرَ مَعهُ ضِمنيًا مَفهومُ "الصِّناعَةِ" مِن جَديدٍ في ثَوبٍ يُونَانِيٍّ، آلِياتُ كَشفِه القاعدَةُ والقياسُ المَنطِقي.

البيان: [9] هذه الفِكرَةُ "الأَرسطيَةُ"حولَ الصُّورَةِ الشّعريَةِ قد وَجدَت لها طريقًا وامتِدادًا إلى البَيانِ العربي؛ الذي غَدا ـ ومنذُ تشَكُّلِه الطُفولي ـ صُورةً لهذا الفِكرِ وجُزءًا مِن بنِيَتِه الفَلسفيَةِ، في تَكريسِه للواقعِ وتجَسيدِه لِلصُوَرِ الواقعيَةِ ذاتِ البُعدِ الجُزئي. يقول "ابنُ رشيق" مُتَحدِّثًا عن "الرماني" [10]: "وشَرحَ أن ما تَقعُ عليه الحاسّةُ أَوضحُ في الجُملَةِ مِمّا لا تَقعُ عليه الحَاسّةُ، والمُشاهدَ أَوضَحُ من الغائبِ. فالأَوَّلُ في العَقلِ أَوضَحُ مِن الثّاني، والثالثُ أوضَحُ من الرابع...والقَريبُ أَوضحُ مِن البَعيدِ في الجُملَةِ، وما قد أُلِفَ أَوضحُ مِمَّا لم يُؤلَف. » [11] فَالواقعُ وحِسّيَةُ الصُّورَةِ وعَقلَنَةُ الإحساسِ تُؤدّي لا محَالَةَ إلى وُضوحِ الصُّورَةِ، لِعَكسِيَتِها المُباشِرَةِ لِلواقعِ. فما دامَ هذا الأَخيرُ واضِحًا ومَألوفًا فإنّ الصورةَ البَيانيَةَ ـ تحتَ وَقعِ المحاكاةِ وتَأثيرِها ـ لابُدَّ أن تَكونَ هي الأُخرى وَاضِحةً ومألوفة: » فَمَدارُ البَيانِ على صِحَّةِ التَّقسيمِ، وتَخيُّرِ الَّلفظِ، وتَرتيبِ النَّظمِ، وتَقريبِ المُرادِ...وتَوخّي الزمانِ والمكانِ، ومُجانَبةِ العَسَفِ والاستِكراه. » [12] ذلك أن ارتباطَ الصُّورَةِ البَيانيَةِ بِالواقعِ مِن شأنِه أن يجعلَها مَكرورَةً مُبتَذَلَةً. ([13] فَالواقعُ الحَرفي مُشتَرَكٌ مَبذولٌ بينَ كلِّ الذَّواتِ الشَّاعرةِ، ولا بُدَّ أن تكونَ الصُّورَةُ الشّعريَةُ كَذلِكَ من أجلِ تَحصيلِ جَودَتِها. والغرابةُ والعَسَفُ خروجٌ عنِ الواقعِ المُبتَذَلِ وبالتَّالي هي خُروجٌ عَنِ المحاكاة؛ بُؤرَةِ الصُّورَةِ البَيانِيَةِ.

فَهَدفُ الصُّورَةِ البَيانِيَةِ إذن هو تمَكينُ المَعنى وتَرسيخُ الصُّورَةِ وإيضاحُ المَقصَدِ، بِرَفعِ الّلبسِ ومُجَانَبةِ الغُموضِ ومُطابَقةِ الصُّورَةِ للواقِعِ الحَرفِيِّ. ([14] غيرَ أن العَمليَةَ البَيانِية في ظلِّ هذا المَوقفِ الإيجابِي مِن جِهَةِ المُبدِعِ، تجعلُه يَحتَكِرُ الحقيقةَ البَيانِيَةَ بِمَعزَلٍ عَنِ المتلقي، فَهي تَشهَدُ تَغيّيبًا كُلّيًا مِن جِهَةِ هذا الأَخيرِ. إنّها تَستَحضِرُ المُنشِئَ وتَرفَعُه إلى مَصافِ الإبداعِ وتُقصِي

القارئَ وتُنزلُه إلى حَضيضِ الاستهلاكِ؛ مِن أَجلِ الكِفايَةِ الإفهامِيَةِ والتَّواصُلِيَةِ التي تَستَهدِفُ الصُّورَةُ البَيانيةُ تحَقيقَها: "إن اللُّغةَ تَواصُلٌ، ويَستَحيلُ أن نوصِلَ شَيئًا إذا لم يَكُنِ الخِطابُ مَفهومًا، يَنبَغي للخطابِ أيِّ خِطابٍ أن يكون قابِلاً للفَهمِ...بِمَعنى تَوفُّرِ المَعنى القابِلِ للإِدراكِ مِن جِهَةِ المُتَلقِّي. »[15] لذا كانَ الحِرصُ على الوظيفَةِ البَيانيةِ أو الإنبائيةِ للصُّورَةِ الشِّعريةِ تَوخِّيًا لِلتَّواصُلِ وتَحقيقًا للإِفهامِ بَين البَاثِ والمُتلقِي. وانعِدامُ إِحدى هذه الآلياتِ الثَّلاثَةِ يُوقِعُ الصُّورَةَ البَيانِيَةَ في العَيِّ والعَجزِ عَنِ البَيانِ، يقول "ابنُ رشيق": "وقيل: البلاغةُ القوَّةُ على البَيانِ مع حُسنِ النِّظامِ...ثم نَرجِعُ إلى وَصفِ البَلاغَةِ...فنقول: البلاغةُ ضِدُّ العَي، والعَيُّ العَجزُ عَن البَيانِ. »[16] والعَجزُ هنا مُقتَرِنٌ بِالتَّعقيدِ والغُموضِ لا العَجزُ عَن الكَلامِ مُطلقًا، فَكُلَّما غَمُضَت الصُّورَةُ وتَعقَّدَت مَسالِكُها مِن جِهَةِ المتلقي أَوقعَ بِنيتَها في العجزِ؛ أي العجزَ عن تحَقيقِ الوَظيفَةِ "البَيانِيَةِ" للصُّورَةِ. يقول "ابنُ رشيق" حَاكيًا قولَ "الرُّمَّانيَ: » وقال: البيانُ الكَشفُ عَنِ المعنى حتىّ تُدركَه النَّفسُ مِن غَيرِ عُقلَةٍ، وإِنَّما قيلَ ذلك لأنّه يأتي التَّعقيدُ في الكلامِ الذي يَدلُّ ولا يَستَحِقُّ اسمَ البَيانِ. »[17]

فَالكَلامُ المُعقَّدُ بِنيَةٌ دِلاليَةٌ يَشوبُها الغموضُ ولا تَخدُمُ الوظيفةَ التَّواصُلِيةَ، فَهي تُقصِي القارئَ المُستَهلِكَ وتَستَحضِرُ ـ بَديلا عَنه ـ قُرَّاءَ مُنتِجين، غَيرَ أنَّهم ـ وفي المُقابِلِ ـ قُرَّاءٌ مَرفوضونَ بَيانِيًا؛ كَونُهم يُحرِّكونَ رَتابَةَ الصُّورَةِ الواقِعَيَةِ وثُبوتِيَتَها الحرفيةَ، كَما يَشَوِّهونَ أبعادَها الحِسّيَةَ القائِمةَ على التَّمايُزِ والانفِصالِ، لذا كان: » الناقد القديمُ يُنكِرُ في بحَثِ اللُّغَةِ والمَعنى إذابَةَ الفَوارقِ والحُدودِ، ويُلِحُّ دائمًا على الفَرقِ بَين الدَّائمِ المُتَغيِّرِ، بَين الصِّفةِ ونَقيضِها، ويُقَسِّمُ كلَّ شيءٍ أقسامًا. »[18] فما هو أثَرُ هَذه النَظرةِ الاتِّباعيَةِ الواقعةِ تحتَ التَّأثيرِ الأرسطي، على عَناصرِ البَيانِ الثَّلاثَةِ: التَّشبيهِ، الاستعارةِ، المجازِ؟ بِمَعنى، كيفَ وَجَّهَ الدَّرسُ البَلاغي هذه العناصرَ؟ وكَيفَ كان موقِفُ النُّقادِ القُدامى ـ وفي مُقدمتِهم "ابنُ رشيق" ـ من هذا التَّوجيهِ الأَرسطي، في ظِلِّ مَسلَكٍ اتِّباعِيٍّ يَغيبُ فيهِ كلُّ شَيءٍ يَخُصُّ الذّاتَ الإِنسانيةَ لِصالِحِ القَاعدَةِ والواقعِ؟

التشبيه: ([19] يُعَدُّ التَّشبيهُ البِنيَةَ الأُولى في التَّركيبِ البَياني والأَصلَ الذي تَنبَثِقُ مِنه سَائرُ البِنياتِ الأُخرى، وهو ذُو تَركيبٍ ثُنائِيٍّ (المُشبَّه والمُشبَّه به)، والفائِدَةُ البيانِيةُ مِنه إِلحاقُ حُكمِ "المُشبَّهِ" بِحُكمِ "المُشَبَّهِ به" في بَعضِ الأَحكامِ أو الصِّفاتِ ذاتِ الذُيوعِ المُشتَرَكِ بينهما، وبِهذا فـ: » التَّشبيهُ هو أن يُثبتَ للمُشبَّهِ حُكمًا مِن أَحكامِ المُشبَّهِ به. »[20] نتيجةَ التِقائِهما في بَعضِ الصِّفاتِ على سَبيلِ المجازِ لا الحقَيقة.

والمُفيدُ في دِراسَتِنا هو البَحثُ عن مَظاهرِ التَّلاقي بَين بِنيَة التَّشبيهِ كَبُعدٍ بَياني، وبَين بِنيَةِ الواقِعِ والعالَمِ الخارِجي، مِن خلالِ تَعاريفَ بَلاغيَةٍ ونَقديَةٍ أَورَدَها البَلاغيونَ والنُّقادُ القُدماءُ فِيما يَخُصُّ بِنيَتَه التَّشبيهيَةَ. فهذا "أبو هلال العسكري"[21] مثلاً يَربِطُه بِالوضوحِ ويجَعلُه جُزءًا

أساسًا في بِنيَتِه، إذ يقول: » والتَّشبيهُ يَزيدُ المعنى وضوحًا ويُكسِبُه تَأكيدًا، ولهذا هو ما أَطبَقَ جميعُ المُتكلّمينَ مِن العَربِ والعَجَمِ عليه ولم يَستَغنِ أحدٌ منهم عليه. »[22] والوضوحُ هنا تَأشيرٌ ضِمنيٌ على استحضارِ أبعادِ الواقعِ الحرفيةِ، وتحقيقِ مَبدَإٍ مِن مَبادئِ "المحاكاةِ" القَائِلَةِ بِالوضوحِ والانجِلاءِ وتَكريسِ الواقِعيَةِ. فَالوضوحُ بُعدٌ واقِعيٌ، وكلَّما التَزمَت الصُّورَةُ التَّشبيهيَةُ بِه يعني أنَّها التَزمَتِ الواقِعَ واستَحضَرَتهُ؛ فَالصُّورَةُ هنا تَعني استِحضارَ الواقعِ في بِنيَتِها كآليةٍ تُعينُها على رَصدِ غَوامِضِ الذّاتِ واستِكناهِ مَعالِمِها الغائصَةِ في الغُموضِ والتَّجريدِ؛ لِبثِّها في قالبٍ حسّي واضحٍ، ومِن أَجلِ هذا كان: » حدُّ التَّشبيهِ البَليغِ إخراجَ الأغمضِ إلى الأَظهرِ بِالتَّشبيهِ مع حُسنِ التَّأليفِ. »[23]

فَالصُّورَةُ لابُدَّ أن تَكونَ واضحَةً جَلِيَةً، وخاليَةً من التَّعقيدِ بَعيدَةً عَنِ الاستِكراهِ ويُعرَفُ الغَرضُ مِنها بِمُجرَّدِ النُّطقِ بِها. فَهِي قَريبَةٌ وواضِحَةٌ وُضوحَ وقُربَ العالَمِ المُشيَّإِ مِنَّا: "وإذا كان الأَمرُ كذلك، فَأحسَنُ التَّشبيهِ هو ما وَقعَ بَين الشَّيئينِ اشتِراكُهما في الصِّفاتِ أكثَرُ مِن انفِرادِهما في الصِّفات. »[24] وحِرصًا على الوُضوحِ الذي تَاقَ إليه "الجرجاني"، ([25] سعى "قدامه ابنُ جعفر" إلى تَوفيرِ الأَرضيَةِ التي يرتَعُ فيه "الوضوحُ" و"الإبانَةُ"، ويُجَسِّدُهما في ذلك قُربُ الشَّبهِ بَين جِنسَي المُشبَّهِ والمُشَبَّهِ بهِ كَما نَصَّ عَليه البَلاغيُّونَ مِن قَبلُ: "وإنمّا الأَحسَنُ في التَّشبيهِ أن يكونَ أَحدُ الشَّيئَينِ يُشبِهُ الآخَرَ في أَكثَرِ صِفاتِه ومَعانيه، بِالضِدِّ حتّى يكونَ رَديءُ التَّشبيهِ ما قَلَّ شَبَهُه بِالمُشبَّهِ به. »[26] و"ابنُ سنان"[27] يَجعلُ كُلاًّ مِن الوضوحِ وطَبيعَةِ القُربِ بَين الطَّرَفينِ مِعيارينِ تُقاسُ بِهما جَودَةُ التَّشبيهِ مِن رَداءَتِه. فما دامَ الوضوحُ ـ أُسُّ البَيانِ وأساسُه ـ قَدِ اشتَرطَ القُربَ بَين الطَّرَفينِ، فلابُدَّ أن يكونَ هذا الأَخيرُ مِعيارًا يُحقِّقُ لِلُّصورَةِ واقِعيتَها ووُضوحَها المَنشودَينِ مِن عَهدِ المُحاكاةِ الأَرسطيَةِ.

أمّا "ابنُ رشيق" فَإنه على خِلافِ النُقَّادِ السابقينَ، فَهو يُؤسِّسُ لِلتَشبيهِ مَادِيتَه المُرتَقبَةَ ويُحقِّقُ له واقعيتَه المنشودةَ، إلى دَرجَةِ أن التشبيهَ في نَظرِه لا يَكونُ صَعبًا إلا حينَ يَتعلَّقُ بِالوجودِ العَينِي والإدراكِ الحسّي للأشياءِ، لما يَتطلَّبُه هذا الأَخيرُ مِن تَأمُّلٍ وإعمَالٍ كَبيرَينِ للعقل؛ ذلك أن: "أشدَّ ما تَكلَّفَه الشَّاعرُ صُعوبَةُ التَّشبيهِ؛ لما يحَتاجُ إليه مِن شَاهد العقلِ واقتِضاءِ العِيان. »[28] فإذا كان الواقعُ العِيانِي يَتَّجِهُ نحو "المحاكاةِ" والمُطابَقةِ الآليةِ بين الصُّورَةِ ومَظاهرِ الأَشياءِ المَحكِيَةِ، فإن العقلَ يَعنِي استِحضارَ القياسِ والبَرهَنةِ. وطَابعُ الحِجاجِ هذا، يَفتَرِضُ بِشَكلٍ حَتمِيٍّ وُجودَ القاعدَةِ وتكريسَها الفعلي في قراءَةِ بِنيَةِ التَّشبيهِ، فـ"ابنُ رشيق" إذن يَسعى نَحو تَكريسِ الواقعِ والقاعدَةِ معًا؛ لأن: ""ابنَ رشيق" ومَن نَقلَ عَنهم لا يَعتَبِرونَ التَّشبيهَ خاصِيَةً شِعريَةً بل خاصِيَةً بَلاغِيةً. »[29] ومَادام التَّشبيهُ خاصيةً بَلاغيَةً بالدرجة الأولى، فإن تَلقِّيهِ لا يَتِمُّ إلا داخِلَ القاعدَةِ البلاغيَةِ. وكُلُّ قِراءَةٍ لأحَدِ طَرفَي بِنيَتِه تَتِمُّ بمعزِلٍ عَنها (أي عن القاعدةِ)،

فَهِي قِراءَةٌ يَشوبُها الخَلَلُ وتَفتَقِرُ إلى الدِقَّةِ العِلميَةِ والقِراءَةِ المَنطقيَةِ؛ التي تَقومُ القاعدَةُ البلاغيَةُ على تَثبيتِهما.

وحِرصُ "ابنِ رشيق" على تَطبيقِ القاعدَةِ أَلزَمَهُ النُّزولَ إلى مَقولاتِها المُقرَّرةِ حولَ التَّشبيهِ. ومَادامَت القاعدةُ قدِ اشتَرطَت لُزومَ القُربِ بَين الطَّرفينِ ووُجوبَ تَجانُسِهما، صرَّحَ "ابنُ رشيق" تَأكيدًا لِما ذَهبَ إليه البَلاغيونَ والنُّقَّادُ قبله: » فَوقوعُ التَّشبيهِ إنما هو أَبدًا على الأَعراضِ لا على الجَواهرِ؛ لأن الجواهرَ في الأَصلِ كُلَّها واحِدٌ اختَلفت أَنواعُها أو اتَّفقَت. « [30] فَالموجوداتُ عِندَ "ابنِ رشيق" لا تَفتأُ أن تَكونَ جَوهرًا واحِدًا ووُجودًا واحِدًا أيضًا، والاختِلافُ بَينَها إنَّما يَقعُ على العارِضِ. ومَادامَ الجَوهرُ يَعنِي الأَصلَ والدَّوامَ والعارِضُ يَعنِي الزَّوالَ والحُدوثَ، فَإن العِبرَةَ بِالدَّائمِ لا بِالمُتَغيِّرِ؛ لذا فَالتَّشبيهُ لا يَكونُ إلا بَين المُتَجانِساتِ مِنَ الأَشياءِ وإن اختَلفَت بَينَها في بَعضِ الأَعراضِ الزَّائلَةِ.

إنّ هذا القُربَ يَجعَلُ بِنيَةَ التَّشبيهِ أَكثَرَ وُضوحًا وبَيانًا، ولَعلَّ هذا ما تَوخَّاهُ "ابنُ رشيق" مِن بِنيَةِ التَّشبيهِ فِيمَا ذَهب إليه سَالفًا: » وسَبيلُ التَّشبيهِ ـ إذا كانَت فَائدَتُه إنما هي تَقريبُ المُشَبَّهِ مِن فَهمِ السَّامعِ وإيضاحُه له ـ أن تُشَبِّهَ الأَدونَ بِالأَعلى إذا أَردتَ مدحَه، وتُشَبِّهَ الأَعلى بِالأَدونِ إذا أَردتَ ذَمَّه...لأن المُرادَ في التَّشبيهِ ما قَدَّمتُه من تَقريبِ الصِّفَةِ وإفهامِ السّامعِ، وإن كانَ ما شَابَه الشيءَ مِن جِهَةٍ فَقد شَابَهَهُ الآخرُ مِنها، إلا أن المُتَعارَفَ ومَوضوعَ التَّشبيهِ ما ذَكَرت.« [31] فَالحِرصُ على الوَظيفَةِ الإفهاميَةِ، جعلَ الصُّورَةَ التَّشبيهيَةَ عِند "ابنِ رشيق" ومَن تقدَّمَهُ من النُقَّادِ صُورَةً احتِذائِيَةً، تَتصَيَّدُ الأُنموذَجَ الواضِحَ في عُلوقِه بِالواقعِ وتَفَتُّحِه على الفَهمِ المُباشِرِ، في ظلِّ أُحادِيَةٍ لِلرَأي تَقودُها القاعدةُ البلاغِيَةُ وَحدَها ويُوجِّهُها التَّفكيرُ المنطقي للأشياءِ.

الاستعارة: [32] إن الحديثَ عَن بِنيَةِ التَّشبيهِ يَجُرُّنَا بِشَكل آليٍ إلى الحَديثِ عَن طَرَفٍ آخَرَ في البَيانِ؛ رَديفٌ للتَشبيهِ واختِصارٌ لِبِنيَتِه، غَيرَ أن مَاهِيةَ التَّكوينِ ووَظائِفَ الأَداءِ وَاحِدَةٌ...إنها "الاستِعارَةُ" في وَجْهِهَا التَّشبِيهي المُتَطَوِّرِ وفي إمكاناتِها الخَيالِيَةِ الخَلاقَة، غَيرَ أن أُحاديَةَ الرَّأي ـ في النَّقدِ والبَلاغَةِ العربِيَينِ ـ أَوقَعَتْها مَوقعَ التَّشبيهِ؛ بِاعتِبارِها انبِثاقًا عَنه وجُزءًا مِن تَركيبَتِه الأَصلِيَةِ، وبِسَببِ ذلك: » اعتُبِرَت الاستِعارَةُ عِند النُقَّادِ وَجهًا مُتَطوِّرًا لِلتَشبيهِ، فَهِي مِن هَذه الزاوِيَةِ تَشبيهٌ حُذفَ مِنه المُشبَّهُ والأَداةُ ووَجهُ الشَّبَهِ. فَالعَلاقَةُ المَبنِيَةُ عَلَيها هي عَلاقَةُ التَّشابُه، لِذا فَإنَّ شُروطَ التَّشبيه سَتكونُ هي نَفسُها شُروط الاستعارَةِ، وقَد مَرَّ بِنا سَابقًا أن وَظيفَةَ التَّشبيهِ الأَساسيةَ هي التَّوضيحُ، لذا رُدّت كلُّ استِعارَةٍ مُوغلةٍ في الغموضِ. « [33]

وكَما أن الوضوحَ في التَّشبيهِ جُعِلَ له شَرطٌ مُقابِلٌ وفي البِنيَةِ نفسِها، يَتَمثَّلُ في "القُربِ" و"التَّجاوُرِ" بَين جِنسَي المُشبَّهِ والمُشَبَّهِ به، فإن هذا الشَّرطَ قد وَجدَ له حُضورًا مُكثَّفًا في بِنيَة

الاستِعارَةِ قَصْدَ الحَدِّ مِن خَيالِها الجامِحِ، الذي يُفرِزُه إلى الوجودِ التَّفاعلُ البَاطني النَّاتِجُ عَن تَداخُلِ وتَمازُجِ الطَّرفَين (أو رُكنَي التّشبيه) في بِنيَتِها؛ لذا: « عَرَّفُوا الاستِعارةَ بأنها تَسمِيَةُ الشَّيءِ باسمِ غَيرِه، إذ قام مَقامَه. »[34] و"المَقامُ" هنا يَعنِي مَدى اشتِراكِ الرُّكنَينِ في الصِّفاتِ المُوحَّدةِ بَينَهما. فَكُلَّما زادت نِسبَةُ الاشتراكِ في هاتِه الصِّفاتِ، وَضُحَتِ الاستِعارَةُ ووَقعَ عليها ضَربٌ من ضروبِ عَمودِ الشِّعر والمُتَمثِّلِ في" إصابَةِ الوَصفِ"، ومِن أَجل هذا: » استَعارَت العربُ المَعنى لِما ليسَ هو له، إذا كان يُقارِبُه أو يُناسِبُه أو يَشبِهُه في بَعضِ أَحوالِه، أو كان سَببًا مِن أَسبابِه. »[35]

هذا المَوقِفُ الاتّباعي مِن الاستِعارَةِ، يَبدو فِكرَةً مُشتَرَكَةً ذَهبَ إليها جُلُّ البَلاغِيّينَ مِن مُقَعِّدِينَ ودَارِسينَ ونُقَّادٍ. مَوقِفٌ وَحَّدَهُم لِلقَولِ بِضَرورَةِ القُربِ بَين المُستَعارِ والمُستَعارِ له على سَبيلِ التَّشابُهِ التَّقريبِي لا التَّطابُقِ الكُلّي، لِيَحصُلَ البَيانُ والتَّواصُلُ وإفادَةُ المُخاطَبِ بما تَعسَّر إيرادُه مِن مَعنى في حالةِ التَّخاطُبِ العادي، إلى دَرَجَةٍ صَارَ فِيها أَمرًا بَديهِيًا ومَألُوفًا أن نجدَ: "...العرب تَستَعيرُ الكلمةَ فَتضَعها مَكانَ الكَلمَةِ، إذا كان المُسَمَّى بها بِسَبَبٍ مِن الآخَرِ أو مُجاوِرًا لها أو مُشاكِلاً. »[36] فَالمُجاوَرَةُ أو المُشاكَلةُ صَارَت هي الأخرى مِعيارًا تُقاسُ بِه جَودَةُ الاستِعارَةِ مِن عَدَمِها. كما أن خاصِيةَ الوضوحِ والمُشاكَلةِ قَد شَكَّلَت عَمودًا استِعاريًا، لا تَقومُ الاستِعارَةُ بمعزَلٍ عنه إلاّ وتَبدَّدت جمَاليتُها التَّقليديةُ في إسارِ التَّعقيدِ والغُموضِ المَرفوضَينِ. والأَمرُ كُلُّه يَعودُ لِصالِحِ القاعدَةِ والمَنطقِ ومَا يَستَتبِعُهما مِن عَقلَنَةِ الشُّعورِ والإحساس. (37)

هذا عَن مَوقفِ النُّقَّادِ والبَلاغِيّينَ، فإذا جِئنَا إلى "ابن رشيق" وجدنا مَوقِفَه مِنها نُسخَةً مِن مَواقفِهم، فهو في "بابِ الاستعارَةِ"[38] يُوردُ التَّعاريفَ ويَكتَفي بِالمَوقفِ الصَّامتِ، مِمَّا يُنبئُ عن تَبَنّيهِ الكُلّي لِما ذَهبَ إليه النقادُ والبلاغيونَ قَبْلَهُ، وأَكَّدَ هذا الموقِفَ الاتّباعي عند "ابنِ رشيق" حين حدَّدَ الاستعارةَ بِحُدودِ التَّشبيهِ وحَصرَ وَظيفتَها في وظَيفته، بقوله: "والتَّشبيهُ والاستعارَةُ جميعًا يخُرِجانِ الأَغمضَ إلى الأَوضَحِ ويُقرّبانِ البعيدَ، كما شَرط الرُّمَّاني في كتابِه. »[39] ولعلَّ هذا القَولَ هو بِمَثابَةِ اختِصارٍ مُجمَلٍ لِما ذَهبَ إليه النقادُ في شَأنِ كُلٍّ مِن التَّشبيهِ والاستِعارةِ، ورَبطِهم لِلبِنيَتَينِ بِالوضوحِ وقُربِ المَأتَى: » فَوظيفَةُ التَّشبيهِ والاستعارَةِ إذن . حَسبَ "ابنِ رشيق" . هي الإبانةُ والتَّوضيحُ، لتَسهيلِ عَمليَةِ التَّلقي بينَ البَاثِّ والمُتَلقي. »[40] ويَبدو أنّ طبيعةَ الاستعارَةِ المُتَحرّرَةَ نوعًا ما والجامِحَةَ في الخَيالِ، قد جَعلَت النقادَ القُدماءَ يَقِفونَ مِنها مَوقِفًا رافِضًا وعَدائيًا، وفَضَّلُوا في ذلك التَّشبيهَ و: "رأى مُعظمُ البَلاغيّينَ القُدامَى أنّ الاستعارةَ أقلُّ قَدرًا مِن التَّشبيهِ؛ لأنها تَنفَلِتُ مِن عَقدِ عَمودِ الشِّعرِ الذي يَرتَبطُ بِقُربِ المَأتَى. »[41]

المجاز: [42] إن رؤيةً دَقيقةً ومُتأَمّلَةً في بَعضِ تَعاريفِ النقادِ للبنية المجازية، تجعلنا نَستَنبِطُ وراءها نَفسَ الخَلفِيَةِ الفِكرِيَةِ التي واجَه بِها النقادُ بِنَيتَي التَّشبيهِ والاستِعارَةِ، غيرَ أنّ التَّعرُضَ لهذه التعاريف كثيراً ما يُوقِعُ الباحثَ في سلسلةٍ من المواقفِ المُكرَّرَةِ والرؤى

المُتقاطعةِ؛ نَظرًا لِطَبيعَةِ الرؤيةِ شِبْهِ المُوحَّدَةِ بَين هذه الأَقوالِ. فـ"السكاكي" مثلاً يُعرفُه قائلاً: "المجازُ هو الكلمةُ المُستعمَلةُ في غَيرِ ما هي موضوعةٌ له بالتَّحقيقِ، اسِتعمالاً في الغير بالنِسبَةِ إلى نَوعِ حَقيقَتِها مع قَرينَةٍ مَانِعَةٍ عن إرادَةِ مَعناهُ في ذلك النَّوعِ. »[43] هذا القَولُ من جِهَةِ البَلاغِيّينَ، أما فِيما يَخُصُّ اللغويّينَ أو علماءَ اللغَةِ فَنُورِدُ قَولاً لـ"ابنِ جِنى"[44] أنموذجًا لِمَوقِفِهم، يَقول في تَعريفِه للحَقيقةِ[45] ـ مِن بابِ التَعرُّضِ لِلمَجازِ ـ هي: » ما أُقِرَّ في الاستِعمالِ على أَصلِ وَضعِه في اللغةِ، والمجَازُ ما كان بِضدِّ ذلك. »[46] أمّا إذا جِئنَا مِن جِهَةِ النقادِ فَنَأخُذُ "ابنَ رشيق" أنموذجًا لِمَوقِفِهم، يقول: "والمجازُ في كَثيرٍ مِن الكَلامِ أَبلغُ مِن الحَقيقَةِ وأَحسَنُ مَوقِعًا في القُلوبِ...إلا أنهم خَصُّوا به...بَابًا بِعيَنِه؛ وذلك أن يُسَمَّى الشَّيءُ بِاسمِ ما قَاربَه أو كان مِنه بِسَبَبٍ...»[47]

إن هذه التَّعاريفَ الثَلاثةَ لِبنيَةِ المجازِ تَكادُ تَتَّفِقُ حَولَ غايَةٍ واحِدَةٍ، وهي فَصلُ المَجازِ عَن الحَقيقَةِ. فَإذا كانت الحَقيقَةُ هِي الوَاقِعُ المعيشُ والوُجودُ العَيني لِلأَشياءِ، فإنَّ المجازَ هو عَالَمٌ ما ورائي؛ يَتَجاوَزُ في حَركَتِه اللُّغويَةِ حَركةَ الواقعِ فَيُخْلِفُ العَادَةَ ويُخطِئُ الحَقيقَةَ. وإذا كانت الحَقيقَةُ بِمَعناها الحَرفِي تَعنِي الظُهورَ والسُّفورَ والمُعايَشَةَ الحِسّيَةَ لِلأَشياءِ، فإنّ المجازَ نَقيضُ كلّ ذلك؛ إنَّه الخَفاءُ والسَّدِيمِيَةُ والعَيشُ في أَحضانِ الوَهمِ، وبهذا يَصيرُ كلُّ ما يُؤَدّي إلى الحَقيقَةِ هو بِالضَّرورَةِ ظَاهرٌ ولا لُبسَ فيه ومَا يُؤَدّي إلى المجازِ خَفِيٌ ومُعَقَّدٌ، كَما أنّه إذا قُلنا أنّ الحَقيقَةَ هي الأَصلُ والمَجازَ هو الخُروجُ عَن هذا الأَصل، فإنَّ ما يُؤَدّي إلى الأَصلِ الثَّابتِ أَولَى مِمَّا يُؤَدّي إلى الفَرعِ المُتَغَيّرِ. ومَا يُثَبّتُ هذا الأَصلَ هو القَاعدَةُ ومَا يَقضِي على الغموضِ هو مُلامَسةُ الواقعِ؛ قَصدَ إدرَاكِ الوضوحِ والبَيانِ المَنشودَين، لذلك كان: « الحِرصُ على الوَظيفَةِ "البَيانِيَةِ" و"الإنبائيَةِ" للغةِ أو لِنقُل الحِرصَ على وَظيفَتِها "المَعرِفِيَةِ"، هو الدَّافِعُ وَراءَ حِرص هؤلاءِ المُفَكّرِينَ على عَدَمِ الخَلطِ بَين الحَقيقَةِ والمَجازِ. »[48] فَفِي مُحاوَلةِ إثباتِ هذه الحُدودِ بَين الطَّرفَينِ (المجازُ/الحقيقةُ) تَأشِيرٌ ضِمنِيٌ إلى حِرصِ النُقادِ القُدماءِ على مَفهومِ الإبانَةِ والوُضوحِ، وهو مَوقِفٌ ـ كما نرى ـ ثُبوتِيٌ، يَستَهدِفُ بِشَكلٍ تَدريجِي إيقاعَ بِنيَةِ المَجازِ في ثُنائِيَةِ الواقعِ والقاعدةِ، وتَجميدِ حَركَتِها ضِمنَ قَوالِبَ مِعياريَةٍ تُوقِعُها في التَّكراريَةِ والابتِذالِ المُمِلّ...إنه مَوقِفٌ اتّباعِيٌ صَارِخٌ أَيَّدَهُ "ابنُ رشيق" وامتَثلَ لِسُلوكِه، فَوقَعَ الاتّباعُ عليه.

فانقِيادِيَةُ الشِّعرِ وانكِساريَتُه لِلقاعدَةِ جَرَّ مَعَهُ انكِسارًا ثانيا، تَحمَّلَهُ هذه المَرَّةَ الاتّجاهُ الثَّاني مِن المُعادَلَةِ الاتّباعية، ألاَ وهو النَقدُ. فَصار هَو الآخَرُ يَسيرُ ـ فيما يُصدِرُه مِن أَحكَامٍ وقِيَمٍ نَقديةٍ ـ وِفقَ عَمودٍ نَقدِيٍ أَورثَهُ الذَّوقُ الجَماعَيُ السَّالِفُ أَيضًا: "يَتَعرَّفُ الناظرُ فيه مِن نَثرِه إلى شِعرِه، ومَطبوعِه إلى مَصنوعِه، ومُحاوَرتِه إلى مَنافَرتِه، ومُناقَلتِه إلى مُساجَلتِه، وخِطابِه المُهت إلى جَوابِه المُسكِت، وتَشبيهاتِه المُصيبَةِ إلى اختِراعاتِه القَريبَةِ. » (49) حتّى إذا اتَّفَقَ الاتّجاهانِ (النقد/الإبداع) في نَمطٍ اتّباعِيٍ واحدٍ، يَقودُهمها في ذلك عَمودُ النَقدِ والشِّعرِ معاً، كان الشَّاعرُ

المُجيد ـ وِفقَ مَنظورِ عَمودِ النَقدِ ـ مَن كانت: "طَريقتُه في الشِّعرِ طريقةَ العُلماءِ، يَستعمِلُ ما عليه الناسُ ولا يكادُ يُبدِعُ؛ طَلَبًا لِلحَقائقِ واتّباعًا لِلمنَهج. » (50) الذي سَعتِ القاعدِةُ البلاغيةُ جاهِدةً إلى تَثبيتِه مِن خلال حِسَّيَةِ الصُّورَةِ التَّشبيهيَةِ وواقِعيَتِها المُهَتَرِئَة، مع ما يَعتَريهَا مِن وضوحٍ وسُفورٍ. إضافةً إلى تَحقيقِ نَوعٍ مِن الإحساسِ المُشاعِ والمُشتَرَكِ بينَ المُتَلقِّينَ.

لذلكَ فَالتَّشبيهُ كان عندهم هُو الصُّورَةُ المُثلَى في التَّشكيلِ البَياني؛ لأنه لا يَتَجاوَزُ في امتِداداتِه التَّخيّيليَةِ والتَّصويريَةِ حُدودَ العَقلِ ومَقولاتِ المَنطقِ، ولا تُنسَجُ بِنيَتُه إلاّ في حُضنِ الواقعِ الحَرفي. فَهوَ أَقرَبُ إلى ذِهنِ المُتَلَقِّي وأَنسَبُ لِعَمُودِ الشِّعرِ. لِنَخلُصَ بذلك إلى أنّ النقدَ العَربِيَ القَديمَ، وهو في ظِلِّ هذا الحَقلِ البياني، قد كان تَابِعًا في جُلِّ آلياتِه وإجراءاتِه لإملاءاتِ البلاغيّينَ وخاضِعًا لِقواعدِهم المَنطِقيَةِ، دون أن يكونَ لـ "ابنِ رشيق" ـ باعتبارِه أنمَوذَجًا قِرائيًا ـ مُتَّسَعٌ لِلخُروجِ بِرَأيٍ أو التَّفَردِ بِحُكمٍ.

مراجع البحث وإحالاته:

1- قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت. ص: 62.

2- ينظر: محمد كراكبي: مفهوم الخطاب الشعري في التراث النقدي العربي القديم، مجلة التواصل، تصدرها جامعة عنابة، العدد: الرابع، (1999م). ص: 35.

3- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحليم، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة: الخامسة، 1981م. 242/1.

4- هو عبد الله بن محمد بن شرِيس الأنباري، يكنى أبا العباس، ويلقب بالناشئ الأكبر أو الكبير، من كبار المتكلمين، وأعيانِ الشعراء، وكان قوي العربية والعروض، أدخل على قواعدِ الخليل شبها، سكن مصرَ، وبها مات سنة 292 هـ. ينظر: (ابن خلِّكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1970م. 3/ 91).

5- ابن رشيق: العمدة. 25/1.

6- ولد أرسطو سنة 384 ق.م في مدينة إسطاغيرا على حدود مقدونية، وكان أبوه طبيباً للملك المقدوني إمتناص الثاني أبي فيليب أبي الإسكندر. ولما بلغ الثامنة عشر قدم إلى أثينا لاستكمالِ علمه، ومن هناك استقدمه فيليب وعَهد إليه تثقيفَ ابنه لإسكندر، ثم عاد إلى أثينا في أواخرِ سنة 335، وأنشأ مدرسةً في ملعبٍ رياضي يُدعى لوقيون، فعرفت بهذا الاسم. وبعد اثنتي عشرة سنة أراد الوطنيون الأثينيون المعادون لمقدونية الإيقاعَ به، فاتهموه بالإلحادِ، فغادر أرسطو أثينا إلى مدينة خلقيس في جزيرة أوربا. وكان ممعودا من زمنٍ طويلٍ، فمات بمرضِه، وقد ترك أثارا كثيرةً من طبيعيةٍ وميتافيزيقيةٍ وخلقيةٍ وسياسيةٍ وفنيةٍ. أشهرُ هذه الأخيرة: "الخطابة"، و"الشعر". ينظر: أبو نصر الفارابي: كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين، تقديم وتعليق د.ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، (لبنان)، الطبعة الثالثة، 1980م. ص: 26 . 27.

7- ابن رشيق: المصدر السابق. 245/1.

8- المصدر نفسه. 26/1.

9- البَيانُ ما يَبِينُ به الشَّيءُ مِن الدلالَةِ وغيرِها. وبَانَ الشَّيءُ: اتَّضحَ فَهو بَيِّنٌ، واستَبانَ الشَّيءُ: ظَهَر. والبَيانُ: الفَصاحَةُ واللَّسَنُ. كَلامٌ بَيِّنٌ: فَصيحٌ. والبَيانُ: الإفصاحُ مع ذكاءٍ. والبَيِّنُ من الرجالِ: الفصيحُ والسَّمحُ الِّلسانِ. وفُلانٌ أَبيَنُ مِن فَلانٍ أي أَفصَحُ منه وأَضَحُ كلاما. والبَيانُ: إظهارُ المَقصودِ بِأبلَغِ لَفظٍ وهو من حُسنِ الفَهمِ وذَكاءِ القَلبِ مع اللّسَن، وأصلُه الكَشفُ والظهورُ. [ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت. (مادة: بين)].

10- الرماني: هو علي ابنُ عيسى الرماني (296هـ - 384هـ) عالِمٌ مُعتَزِلٌ مِن كِبارِ الُّلغَوِيِّينَ والنُحَّاةِ، وُلِدَ بِبَغداد وتُوفي بها. صَنَّفَ العديدَ من أنوعِ الكُتُبِ في شَتَّى أنواعِ المَعرفَةِ، وخاصَّةً في علومِ العربية: الُّلغةُ والنحو والتَّفسيرُ والاعتزالُ. ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، 1997م. ص: 286 . 287.

11- ابن رشيق العمدة. 287/1.

12- أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق حَسن السندوسي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1929م. ص: 145.

13- ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، أطروحة ماجستير في النقد الأدبي، مطبوعة من طرف: دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، 1997م. ص: 67.

14- ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عَمرو ابن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة: الرابعة، 1975م. 76/1. وينظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963م. ص: 119.

15- جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1986م. ص: 101.

16- ابن رشيق: العمدة. 245/1.

17- ابن رشيق: المصدر نفسه. 254/1.

18- تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة: الأولى، (1983م). ص: 283.

19- الشَّبَهُ والتَّشبيهُ: المِثلُ، وأَشبَهَ الشَّيءَ: مَاثَلَهُ، وأَشبَهتُ فُلانًا وَشابَهتُه واشتَبَهَ عَلي، وتَشابَهَ الشَّيئانِ واشتَبَها: أَشبَهَ كلُّ واحِدٍ مِنهُما صاحِبَه، والتَّشبيهُ: التَّمثيلُ. [اللسان (مادة: شبه)].

20- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990م. 399/1.

21- هو الحسن ابنُ عبدِ الله ابن سهل أبو هلال اللغوي العسكري، كان الغَالِبَ عليه الأدبُ والشِّعرُ. من مؤلفاته "كتاب الصناعتين"، و"كتاب شرح الحماسة"، و"كتاب التبصرة"، و"المحاسن في تفسير القرآن". ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، 1936م. 258/8.

22- أبو الهلال العسكري: الصناعتين: تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م. ص: 243.

23- ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤونِ الإسلاميةِ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963م. ص: 159.

24- قدامه ابن جعفر: نقد الشعر، ص: 124. وينظر: الجرجاني: عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1988م. ص: 211.

25- الجرجاني: هو عبد القاهر ابنُ عبد الرحمان الجرجاني، فَارِسِيُ الأَصلِ، جَرجانِيُ الدَّارِ. امتازَ بِثَقافَةٍ واسعَةٍ، ومِن مؤلفاتِه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة". توفي سنة 417 هـ. ينظر: القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1950م. 188/2 . 190.

26- ابن سنان الحفاجي: سر الفصاحة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت. ص: 246.

27- هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان . أبو محمد الخفاجي . شاعرٌ أديبٌ ولد سنة 423هـ بقلعةِ عزاز من أعمال حلب، وكان أبوه من أشرافِ البلدةِ. أخذ العلمَ عن أبي العلاءِ المعري وغيرِه، ظَهرن في نفسِه نوازعُ الثورةِ، فأعلَن العِصيانَ على الأميرِ محمود بنِ نصر، فأمر وزيرَه النحاس بتنفيذِ مكيدةٍ بابنِ سنان، أودت بحياتِه، فمات سنة 446هـ. ينظر: (ابن سنان: المصدر نفسه. ص: 07).

28- ابن رشيق: العمدة. 85/1.

29- محمد عبد العظيم: في ماهية النص الشعري، إطلالة أسلوبية من نافذة التراث النقدي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1994م. ص: 90.

30- ابن رشيق: المصدر السابق. 286/1.

31- ابن رشيق: المصدر نفسه. 290/1.

32- الاستِعارَةُ مَأخوذَةٌ مِن العَارِيَةِ أَي نَقلَ الشَّيءِ مِن شَخصٍ إلى آخَرٍ، تُصبحُ تِلك العارِيَةُ مِن خَصائصِ المُعارِ إليه. والعَارِيَةُ والعارَةُ مَا تَداوَلَهُ بَينَهم. وقد أَعارَهُ الشَّيءَ وأَعارَه مِنه وعاوَرَهُ إيَّاه، والمُعاوَرَةُ والتَّعاوُرُ: شِبهُ المُداوَلَةِ، والتَّداولُ يكون بين اثنين. وتَعوَّرَ واستَعار: طَلَبَ العاريةَ. واستَعارَ الشَّيءَ واستَعارَه مِنه: طَلَبَ مِنه أن يُعيرَه إيَّاه. ينظر: المدني، علي صدر الدين بن معصوم: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شاكر، النجف الأشرف، العراق، 1968م. 1/ 228.

33- توفيق الزيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1987م. ص: 129.

34- الجاحظ: البيان والتبيين. 153/1.

35- أدونيس: الثابت والمتحول، تأصيل الأصول، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1979م. ص: 201.

2- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مُشكَلِ القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى الحلبي، القاهرة، 1954م. ص: 102.

3- ينظر: الآمدي، أبو القاسم الحسن ابن بشير: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1961. 1965م. 191/1. وينظر: أبو الهلال العسكري: الصناعتين. ص: 268. وينظر أيضا: المرزوقي، أبو علي أحمد ابن محمد ابن الحسين: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1967م. 10/1.

38- ينظر: ابن رشيق: العمدة. 270/1.

39- ابن رشيق: المصدر نفسه. 287/1.

40- د.بوقربة الشيخ: مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي، من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراه، في النقد العربي القديم، مخطوط، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية، 1999م . 2000م. ص: 164 . 165.

41- د.عدنان حسين قاسم: التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، دار نصر، مصر، 2000م. ص: 49 . 50.

42- جُزتُ الطَّريقَ، وجَاز المَوضِعَ جَوازًا، وجَازَ بِه وجَاوَزَهُ، وأَجازه غَيرُه، وجَازَه: سَارَ فيه وسَلكَهُ، وجاوَزتُ المَوضِعَ جَوازاً: بمعنى جُزتُه . والمجازُ والمُجاوَزةُ: الموضع." ينظر: [اللسان (مادة: جَوَزَ)].

والمَجاز مَفْعِل: مِن جاز الشَّيءَ إذا تعدَّاه، وإذا عَدَل باللفظ ِعمَّا يُوجِبُه أصلُ اللغةِ وُصِف بأنَّه مجاز؛ على مَعنى أنَّهم جازُوا به مَوضِعَه الأَصلي أو جاز هو مكانَه الذي وُضِع فيه أوَّلا. ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة. ص: 342. وينظر أيضا: الرازي، عز الدين محمد ابن عمر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، مصر، 1317هـ. ص: 36.

43- السكاكي: مفتاح العلوم، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، لبنان، دت. ص: 170.

44- ابن جني: هو أبو الفتح عثمان ابن جنّي النحوي، كان مولدُه قبل الثلاثين والثلاثمائة (330هـ). خلف من الكتب ما يربو عن ثمان وأربعين كتاباً، كان أشهرُها" كتاب الخصائص". توفي ابن جِنّي ليلة الجمعة من صَفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (392هـ). ينظر: ابن النديم: الفهرست. ص: 397 . 398.

45- حَقَقَ: الحقُّ نَقيضُ الباطلِ، وجَمعُه: حَقوقٌ وحَقائقٌ... وحَقَّ الأمرَ يُحِقُّه حَقًّا وأَحَقَّه: كان منه على يَقينٍ، تقول: حَقَقتُ الأَمرَ وأَحقَقْتُه: إذا كُنتُ على يَقينٍ منه... الحَقيقَةُ: ما يَصيرُ إليه حقُّ الأَمرِ ووُجوبُه. وبَلغَ حَقيقَةَ الأَمرِ أي يَقينَ شَأنِه... الحَقيقَةُ في اللغةِ: ما أُقِرَّ في الاستِعمال على أَصلِ وَضعِه. ينظر: [اللسان (مادة: (حقق)].

46- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار كتب المصرية، القاهرة، مصر، 1935م . 1956م. 442/1.

47- ابن رشيق: العمدة. 266/1.

48- نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان)، الطبعة: الخامسة، 1999م. ص: 109 . 110.

49- الحصري، أبو إسحاق إبراهيم: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعةُ الحلبي، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1953م. 01/1.

50- هذا الحُكمُ النَقدي أَوردَه "ابنُ رشيق" في شأنِ الشاعر " إسماعيل ابنِ إبراهيم أبي الطاهر ابنِ الخازن". ينظر: (ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م. ص: 82).